Rimak International Journal of Humanities and Social Sciences
ISSN: 2717- 8293

Research Article JULY 2022 Volume: 4 Issue: 4

PURITY OF THE SPIRITUAL EXPERIENCE IN THE POEM URWA BIN UTHAINA "THE ONE WHO CLAIMED YOUR HEART IS BORED"

Qusay Fadel AL-KHATIB[1]

Istanbul / Türkiye
p. 363-372

Received: 23/05/2022
Accepted: 17/06/2022
Published: 01/07/2022

This article has been scanned by **iThenticat** No **plagiarism** detected

Abstract:

The pure spiritual experience affected by the spirit of Islam and its purity appeared in the poet Qurashi hermit, modernist, jurist, and preacher, and he was Urwa bin Uthaina. Madinah, he was in good contact with the Umayyads and the supporters of Abdullah bin Al-Zubayr, he chose not to play with politics or play with it, because he had a clear commitment to poetry, especially what was from it in spinning. He did not only say poetry, but he was making melodies and dissolving them for others to sing, and at the same time he was composing and arranging the sung poetry, as far as we know that the singer Ibn Aisha asked him for verses in jest. Where do you say? There are a number of singers who praised his poetry and sang a lot about it, and in the Book of Songs there are many voices of his poetry, and some hadith books devoted pages to him according to what is known from the science of wound and modification by Ibn Hatim and the great history of Imam al-Tabari and acceleration of benefit by Ibn Hajar alAsqalani and among the most famous who narrated from him Abd Allah bin Omar and Obaid Allah bin Omar (may God be pleased with them) as narrated by Imam Malik (may God have mercy on him).

Here he presents us with a flirtatious text that is unique in its kind and pious in its performance, and begins with a clear mobilization, because it obeys the sea and the rhyme, and the poem starting is an equation of a true love experience that he embraced and tortured with, either he lived it, or from a figment of the imagination, or he was tormented with this love because there was no matter His heart is something, but he is on his piety and piety. He lived in a society that could not comprehend his position on this love, and for this he had to deal with what he calls (covering), but that his beloved herself fears for him, so she addresses him by doing the matter (hiding) that he loved in his own way. Our poet has loved a pure and chaste love, rather he has risen above the lover when he has not made himself known and who he loves. Love for him - as it is said - is a test and a test from God for people to take themselves with the obedience of those they love, and to be an entrance to a greater love that is the love of God Almighty, and perhaps this confirms it History is ours, and it does not stop us with the one who loves a name or attributes, for it is a state that was expressed as “seeing light for light in light.”

Key words: Poem Urwa Bin Uthaina, Purity of The Spiritual Experience.

http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.18.23

[1] Dr. , Iraqi University, Iraq, qalkhtyb525@gmail.com

Copyright © Published by Rimak Journal, www.rimakjournal.com
Rimar Academy, Fatih, Istanbul, 34093 Turkey
All rights reserved

Volume: 4 Issue: 4

نقاء التجربة الروحية في قصيدة عروة بن أذينة
"إنّ التي زعمت فؤادك ملّها"

قصي فاضل الخطيب [2]

الملخص:

ظهرت التجربة الروحية النقية المتأثرة بروح الإسلام وصفاءه عند الشاعر قرشي ناسك محدث فقيه داعية ألا وهو عروة بن أذينة لقد كان من الذين شهروا بقضية حب في المدينة لا خلاف عليها، وأحد وجوه المدينة المنورة في عهد بني أمية، وأحد الذين أبتعدوا عن قضايا الصراع السياسي في المدينة فقد كان على صلة حسنة بالأمويين وأنصار عبد الله بن الزبير، لقد اختار ألا يلعب بالسياسة أو تلعب به، لأنه كان له التزام واضح بالشعر وبخاصة ما كان منه بالغزل فهو ابتدأ بالعالم الغنائي الذي كان يوشح المدينة وشارك فيه بما لا يحط من قدره، فهو لم يقل الشعر فقط ولكنه كان يصنع الألحان وينحلها غيره فيغنى بها، وفي الوقت نفسه كان يؤلف وينظم الشعر المغنى على حد ما نعرف أن المغني ابن عائشة طلب منه أبياتاً في الهزج فقال له: اجلس فجلس، ثم أملى عليه قصيدته التي مطلعها:

سليمى أزمعت بينا فأين تقولها أينا ؟

وهناك عدد من المغنيين استحسنوا شعره وأكثروا من الغناء فيه وفي كتاب الأغاني أصوات كثيرة من شعره، وأفردت له بعض كتب الحديث صفحات على حد ما هو معروف من علم الجرح والتعديل لابن حاتم والتاريخ الكبير للامام الطبري وتعجيل المنفعة لابن حجر العسقلاني ومن أشهر الذين رووا عنه عبد الله بن عمر وعبيد الله بن عمر(رضي الله عنهما) كما روى عنه الإمام مالك(رحمه الله)

وهنا يقدم لنا نصاً غزلياً فريداً في نوعه وورعاً في أدائه وابتدأه بتحشيد واضح، ذلك لانه طوع البحر والقافية، والقصيدة ابتداء معادلة لتجربة حب صادقة علشها عروة وتعذب بها، إما أنه عاشها، أو من نسج الخيال أو أنه تعذب بهذا الحب فلأنه لم يك من أمر قلبه شيئاً ولكنه على ورعه وتقواه كان يعيش في مجتمع لا يستطيع أن يستوعب موقفه من هذا الحب، ولهذا كان لابد له أن يتعامل مع ما يسميه (الستر) بل إن محبوبته نفسها تخشى عليه فتخاطبه بفعل الأمر (استتر) على أنه قد أحب بطريقته الخاصة.

وشاعرنا قد أحب حباً عذرياً عفيفاً، بل لقد علا مرتبة على المحبين حين لم يشهر بنفسه وبمن يحب، فالحب عنده – كما يقال– امتحان وابتلاء من الله للناس ليأخذوا أنفسهم بطاعة من يحبون، وليكون مدخلاً لحب أكبر هو حب الله عزوجل، ولعلّ هذا ما يؤكده التاريخ لنا فلم يقف بنا عند من أحب اسماً أو صفات، فهي حالة عُبّر عنها بأنها " رؤية نور لنور في نور ".

الكلمات المفتاحية: نقاء التجربة الروحية، قصيدة عروة بن أذينة.

[3] د. ، الجامعة العراقية، العراق، qalkhtyb525@gmail.com

المقدمة:

قبل أن نخوض في هذا البحث لابد لنا أن نعرف ولو بشيء من تفاصيل حياة هذا الشاعر الفقيه العالم المحب الصادق الذي أطبق حياته فيما أحب وعشق لا يلتفت لقول اللائمين ولا عتب المقربين، والذي يتلمس صفحات ديوانه يجد في شعره وقصائده لوعة بل لوعات الحب على أوراها، ونار الشوق قد أحرقت قلبه وكبده وهو صابر على هذا الابتلاء، يصف ما يكابده بأسلوب سلس لا غموض فيه ولا تعقيد، نشأ عروة في المدينة، فأخذ العلم عن علمائها، كما أنّه تأثّر بما كان فيها من انتشار مظاهر الغزل والغناء، وظهر أثر ذلك في حياته وشعره، إذ كان يروي الأحاديث وتُؤخَذ روايته، ويُعلّم الناسَ ويعِظهم، ويقال إنّه كان يصنع بعض الألحان وينسبها إلى غيره ليُغنَّى بها.

اتصف عروة بسماحة النفس وشيء من المرح مع حبٍ للعلم، إضافة إلى نظم الشعر ونقده والميل إلى الغناء، وكان له مجلس في المدينة يجتمع فيه الناس والشعراء، ويأتي إليه القادمون إلى المدينة من الشعراء، وممن قدم إلى مجلسه جرير والفرزدق والأحوص وابن هرمة وابن أبي عتيق، والمغني ابن عائشة الذي كان يغني بشعره، والحزين الكناني الشاعر.

فهو تابعي جليل وشاعر غزل شريف مقدّم من شعراء المدينة المنورة وهو أحد فقهائها والمحدّثين، وأحد ثقات أصحاب حديث النبي (عليه الصلاة والسلام)، سمع من ابن عمر وروى عنه مالك بن أنس في الموطأ، وعبد الله بن عمر.

واذا عرفنا أنّ التجربة الروحية المتصلة بالدين موجودة في كل الحضارات، وموجودة في كل الأديان لذلك فالذي أعطاها البقاء لم يكن التعبير عن الدين وقضاياه، ولكن كان هذا من الوهج الروحي الذي يؤثّر في التجربة وينفذ إلى صميمها، وهو بهذه التجربة الصادقة لا تكاد تحدثه نفسه بريبة أو فساد لان تعاليم الدين قد أحاطت به نحو طريق مستقيم لا اعوجاج فيه ولا تعثر، ولأنّ للشعر عالمه الخاص الذي لا يحاصر الشاعر، وإنّما يسمح له بالتعرّف على ما حوله من حياة ودين ورسم وموسيقى، فهو يزهو وتأخذه النضارة ويكتسب المعاصرة من هذه الأشياء.

تركّز هذا البحث على قصيدة الشاعر وما فيها من جمال الأسلوب وروعة النظم، ونقاء الروح الذي اتسمت به أبياتها، سبقها تعريف غير مخل لهذا الشاعر وحياته، ولأنّ النقاء الروحي والصفاء الذي خالط قلبه وروحه فيمن أحبه، فلا غرابة أن تكون قصيدته تحمل في طياتها كل معاني الود والتذلّل للحبيب، وتحمل المشقة والتعب، وأن لا يحمّله الله عز وجل ما لا يطيق، وهذا دعاء المؤمنين كما جاء في قوله عزوجل: {ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به}، (سورة البقرة، 286)، فقد فسرها كثير من السلف بالعشق أو المحبة، ولم يريدوا به التخصيص إنّما أرادوا به التمثيل، وأنّ العشق من تحميل ما لا يطاق (ابن القيم الجوزية، 2016).

وورد عن ابن قتيبة (ت276هـ) أنّه قال: (ولأنّ التشبيب قريب من النفوس، لائط بالقلوب لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل، وإلف النساءِ، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسببٍ، وضارباً فيه بسهمٍ، حلالٍ أو حرام) (ابن قتيبة، 1966، صفحة 1/ 75).

وقد سئل ابن حزم الأندلسي(ت456هـ)عن الحب والهوى، فقال: (الحب أعزك الله أوله هزل، وآخره جدٌّ، دقّت معانيه لجلالتها عن أن توصف، فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة، وليس بمنكر في الديانة، ولا بمحظور في الشريعة، إذ القلوب بيد الله عزوجل) (ابن حزم، 2008، صفحة 41).

فالغزل من الأغراض الوجدانية البحتة وغالباً ما يكون استجابة لمؤثرات نفسية ومشاعر وجدانية تأتي نتيجة الإعجاب بالجنس الآخر بصفات خلقية يبصرها الشاعر فتبهره، أو بصفات خُلُقية من أدب جمّ وحديث حلو، ومنطق معسول مؤثر، فتثير مواجد الشاعر ومكامن أساه، فينفث ما بداخله، ويسري عما يلتهب في صدره من أشواق فيعبر عن ذلك كله بكلمات ينطق بها لسانه، لكنها مغروسة في قلبه وروحه ومشاعره وملونة بما يُكنُ صدرُهُ من أشواق وذكريات، ولهذا فالغزل العذري حديث القلب إلى القلب، قلب عاشق ومعشوق بينهما حب صادق عفيف، لا تخالطه ريبة أو ظنون، والعفة أول صفات الحب وأبرز علاماته،

Volume: 4 Issue: 4

يقول ابن حزم: (ومن أفضل ما يأتيه الإنسان في حبه التعفف، وترك ركوب المعصية والفاحشة) (ابن حزم، 2008، صفحة 138).

وقد عبّر عن ذلك الحوفي، فقال: (الغزل الذي تشيع فيه حرارة العاطفة، وتشع منه الأشواق، ويصوّر خلجات النفس، وفرحات اللقاء، وآلام الفراق، ولا يحفل بجمال المحبوبة الجسدي بقدر ما يحفل بجاذبيتها وسحر نظرتها وقوة أسرها، ثم يقتصر فيه الشاعر على محبوبة واحدة طيلة حياته أو ردحاً طويلاً من حياته) (الحوفي، 1961، صفحة 165).

وعلى ذلك فهو فن مستمر مع العصور لا ينقطع بمرور الأيام والسنين، مادام الإنسان ذو فطرة سليمة يحمل عواطفه ومشاعره لا يفارقها، ولا يستطيع عنها محيصاً، فلابد أن يكون له صلة مع الجنس الآخر، وسيظل هذا الفن الشعري حاضراً ظاهراً، ما كان الأدب وما استمرت فنون التعبير.

المبحث الأول: عروة بن أذينة " اسمه وحياته ".

هو عروة بن بن أذينة، وأذينة لقبه، واسمه يحيى بن مالك الليثي الكناني بن الحارث بن عبد الله بن زحل بن يعمر، ويكنّى عروة بن أذينة بأبي عامر، وهو شاعر غزل مقدم من شعراء أهل المدينة عاش فيها في العصر الأموي، وهو معدود في الفقهاء والمحدثين ولكن الشعر أغلب عليه (عروة بن أُذينة، 1996). فهو من بني ليث، وكان شريفاً ثبتاً يُحمل عنه الحديث، ووفد على هشام بن عبد الملك (ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 1966).

لا نعرف الكثير عن أمه وأبيه، إلا أنّ والده كان من أهل المدينة، له ولد اسمه يحيى، وأخ اسمه بكر توفي فرثاه بأبيات يقول فيها (عروة بن أُذينة، 1996، صفحة 34):

سرى همي وهمّ المرءِ يسري وغــابَ النجمُ إلا قيد فــترِ
أراقبُ في المجرةِ كلَّ نجـم تعرضَ أو على المجراة يجري
لهـمٍّ مــا أزالُ لهُ قــريــناً كأن القــلبَ أبطنَ حرَّ جمـر
على بكرٍ أخي فارقتُ بكراً وأيُّ العيشِ يصلح بعدَ بكــرِ

عاش عروة في المدينة المنورة، وكان في أول عمره يصنع الألحان، وكانت حياته حياة نسك وزهد وعبادة، وكان من أعيان العلماء وكبار الصالحين وله أشعار رائقة، وأسلوبه في الغزل رقيقاً عذباً، وكان كثير القناعة، وله في ذلك أشعار سائرة، وهو مقل في شعره وعلى الرغم من قلته، شعر جيد الصوغ متميز الأسلوب حسن الإيقاع.

وفد على هشام بن عبد الملك فقال له: ألست القائل:

لقد علمتُ فما الإسراف في طمعي أنَّ الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى لهُ فيُــعنّيني تطلّبُــــهُ ولو قعدتُ أتــاني لا يُعنّــيني

وما أراك فعلت كما قلت، فإنّك أتيتنا من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق، فقال: لقد وعظت يا أمير المؤمنين فبالغت في الوعظ، وأذكرت ما أنسانيه الدهر، وخرج من فوره إلى راحلته فركبها وتوجه راجعاً إلى الحجاز، فمكث هشام يومه غافلاً عنه، فلما كان الليل استيقظ من منامه وذكره، وقال: هذا رجل من قريش قال حكمة ووفد إليّ فجبهتُهُ ورددته عن حاجته، وهو مع هذا شاعر لا آمن لسانه، فلما أصبح سأل عنه، فأخبر بانصرافه، فقال: لا جرم ليعلمنّ أن الرزق سيأتيه، ثم دعا بمولى له وأعطاه ألفي دينار، وقال إلحق بهذه عروة بن أذينة فأعطه إياها، قال: فلم أدركه إلا وقد دخل بيته، فقرعت عليه الباب، فخرج فأعطيته المال، فقال: أبلغ أمير المؤمنين السلام وقل له: كيف رأيت قولي؟.

سعيت فأكديت، ورجعت إلى بيتي فأتاني فيه الرزق (ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 1966).

ذكرنا أنّ شعره يُغنَّى به ويوقعه، ويحدث فيه ما يريد من تقطيعات وتمديدات، وكان لهذا كله أثر في غزله، فهو غزل يكتظ بالموسيقى، وتتوافر له قيم صوتية كثيرة، فهو غزل مهيأ للغناء، بل هناك ميزة تتصل بمعانيه، فالأغاني كانت تنصب على الغزل غالباً، وهو في المدينة على ضربين:

- غزل صريح فيه حرية.
- غزل عفيف فيه طهر ومثالية، ولا ريب أنّه كان من هذا النوع.

(وتعليل ذلك واضح، فهو فقيه وله من تدينه رادع يقيه أن يكون آثماً في حبه، أو صريحاً صراحة تؤدي بغزله إلى أن يكون مادياً مكشوفاً) (ضيف، د. ت، صفحة 100).

ولهذا قرر الدكتور حسين نصار: (أنّ الحب العذري وجد قبل الإسلام، كما وجد معاصراً له، ولم يوجد بعده، وإذاً فإنه ليس ثمرة القيم الأخلاقية التي بثها الإسلام في العرب، وإنّما هو ثمرة لقيم أخرى وذكر منها المنعة التي يعدها العرب ضرورة من ضروريات الحياة بين أهل البادية، ولا مناص لهم من الإشتهار بمناعة الحوزة بين الأعداء والنظراء، وأول حوزة يحميها الرجل هي المرأة) (نصار، د. ت، صفحة 35).

وعروة من الشعراء الذين أحبوا وصدقوا في حبهم، وقصر شعره في مجمله على الحديث عن تباريح الهوى، وتصوير وقائع هذا الحب، وصور العذريون من تعزلوا بهن بالبخل والتمنع، صادة هاجرة، تعد عشيقها بلقاء لكنها لا تفي به، يتهمها العاشق بأنها لا تحفظ وداداً، ولا ترعى له حرمة، فهو دائم الشكوى، متواصل الأنين، يتمنى النهاية أن تكون وصلاً مع الحبيبة، وهذا ما يصفه بكّار فيقول: (ولهذا يجد الشاعر العذري سعادته بهذا الحرمان الذي يتمنى أن تكون نهايته وصلاً مع الحبيبة، ومتعته بهذا الصدود، وراحته بهذا الجفاء، فقد شربوا من كأس الحب حتى الثمالة، وغاصوا في لجّته حتى الدرك الأسفل، وبلغوا القاع منه فسكروا منه، فلا يلتفتون إلى ناصح أو لائم، وأفقدهم توازنهم فجعلهم يرون بؤس صاحبتهم نعيماً، فقد تجرعوا جفاء الحبيب، وأعتادوا صدوده وإدباره، ويتصف شعر العذريين بوضوح الحب، والحرقة والألم والإخلاص وصدق العواطف ونبلها، إلا أنه لا يخلو من إشاراتٍ حسية مادية) (بكّار، 1981، صفحة 55).

كما في قوله (عروة بن أُذينة، 1996، الصفحات 73- 74):

وإذا المودة لم تكن مصدوقةً	كَرِهَ اللّبيبُ بعقله استقبالها
ولقد بلوتُ وما ترى من لذةٍ	في العيش بعدكِ قُربها ووصالها
عصْرَ الشبابِ وما تُجِدُّ مودةً	للغانيات ولا هـــــوىً إلا لها
تدنو فتطمع ثم تصرف قولها	يأساً فيقطع صرمها إجلالها
طيفٌ إذا لم تدنُ منك رأيته	في زيّها مُتمثلاً تمثالها
ويزيدها أيضاً عليَّ كرامةً	أنّي وربك لا أرى أمثالها
فلقد بكتها العينُ حيناً كُلما	ذكرت سُعيدة راجعتْ تهمالها
مَعنيةً تذري الدُّموع صبابةً	بعد العزاء ترى البُكا أشفى لها

ففي غزلهم هذا يصور لنا حباً عظيماً جامحاً، لا تبرد ناره، ولا تسكن روحه، ولا تجف مدامع عينه، إلا بالقرب من التي أحبها وتعلق قلبه بها.

Volume: 4 Issue: 4

توفي عروة بن أذينة نحو سنة (130هـ) ولم يعثر على ترجمة ثبت تاريخ وفاته.

المبحث الثاني: قصيدة عروة بن أذينة

تبدأ أحداث هذه القصيدة بعفوية المحب الصادق حينما يوجه له السؤال من الحبيبة أنك مللتنا، ولعل هذا الإتهام يثير كوامن القلب وما اعتراه من حبٍّ خفي، سرى في عروق جسده، فكان لابد أن يظهر البراءة، ويحقق عدالة المحب الذي امتلأت روحه ونفسه بتلك التي لم يغفل عنها في ليله ونهاره، وكيف يداخله الملل، وقد ملكت زمام قلبه وروحه، فيأتي بالتوكيد على ما أصابه، وأنه راضٍ بما قسمه الله عزوجل له، فقد كان لها وكانت له قدراً ونصيباً، والذي يبدو أنّ ذلك الحوار الذي سطّرته أبيات القصيدة تبيّن حالة المحب الملتزم الذي يخشى من كلام الناس، والواشين بسوء الظن، وهذا النقاء الروحي والصفاء الذي كان يلازم عروة (رحمه الله) تبعاً لورعه وتدينه، فلا نرى إطالة في الوصف، وذكر محاسن الحبيبة، وإنما يُعرض لذلك تعريضاً بعيداً، حفاظاً على كرامة حبيبه، بل لم تذكر المصادر اسم تلك المرأة، وتنزهاً ورفعة في نفسه من الهوان، لنقرأ القصيدة ونرى جمال التصوير، وروعة الخيال، وصدق العاطفة، وحسن التعليل بإعطاء العذر للحبيب من عدم ردّه، فها هو يقول (عروة بن أُذينة، 1996، صفحة 70):

إنّ التي زعمتْ فؤادكَ ملّها ... خُـلِقتْ هواكَ كما خُـلقْتَ هوىً لها

فيك الذي زعمتْ بها وكلاكما ... يُبدي لصاحبهِ الصّبـــــابةَ كلّها

ويبيتُ بين جوانحي حبٌّ لها ... لو كان تحتَ فِـــراشها لأقـلّها

ولعمرُها لو كان حُبُّكَ فوقها ... يوماً وقد ضـــحيتْ إذاً لأظلّها

وإذا وجدتَ لها وساوس سلوةٍ ... شفعَ الفؤاد إلى الضميرِ فسلّهـا

بيضاءُ باكرها النعيمُ فصاغها ... بلبـــــاقةٍ فأدقّـــها وأجلّهـا

لما عرضتُ مُسلماً لي حاجةٌ ... أرجو معـونتها وأخشى ذُلّها

حجبتْ تحيتها فقلت لصاحبي ... ما كـــان أكثرها لنا وأقلّها

فدنا فقال: لعلّها معـــــذورةٌ ... من أجل رِقبتها فقلتُ لعلّها

ولنبين ولو بشيء من التوضيح لتلك المصطلحات وألفاظ الحب التي جاءت في هذه القصيدة وهي (الهوى/ الصبابة / الحب / الوجد) فقالوا في الهوى: هو ميل النفس إلى الشيء، وفعله هَوِيَ، يَهوي، هوىً، مثل عَمِيَ، يعمى، عمىً.

وأما هَوَى يَهوِي بالفتح فهو السقوط، ومصدره الهُوِيُّ بالضم، ويقال الهوى أيضاً على نفس المحبوب، ويقال: هذا هوى فلان، وفلانة هواه، أي: مَهوِيُّهُ ومحبوبته (الجوهري، 1987).

فكيف بمن سقط في الحب وهوى من مكان عالٍ أن يلتفت لعتاب أو ملامة، فالشاعر يبادر ذلك في مطلع قصيدته بأنه جعلت له هذه الحبيبة قدراً من الله، وكذلك الأمر ينطبق على محبوبته.

أما الصبابة فهي: رقة الشوق وحرارته، يقال: رجل صبٌّ، عاشق مشتاق، وقد صَبِبتُ يارجل(بالكسر) (الزمخشري، 1988).

أما المحبة: فقيل أصلها الصفاء، لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها، حَبَب الأسنان (ابن فارس، 1979)، وقيل مأخوذة من الحَباب، وهو ما يعلو الماء عند المطر الشديد، وعلى هذا فالمحبة غليان القلب وثورانه عند الاهتياج إلى لقاء

المحبوب (الفيروز آبادي، د. ت)، وقيل: مشتقة من اللزوم والثبات (ابن فارس، 1979)، فكأن المحب قد لزم قلبه محبوبة فلم يَرم عنه أثقالاً (ابن القيم الجوزية، 2016)، وقيل: بل هي مأخوذة من القلق والأضطراب، ومنه سمي القرط حِباً، لقلقه في الأذن واضطرابه، وقيل: من الحَبَّ جمع حَبّة، وهو لباب الشيء وخالصه وأصله، فإن الحَبّ أصل النبات والشجر.

وقيل: مأخوذ من الحُب الذي هو إناءٌ واسع يوضع فيه الشيء فيمتليء به بحيث لا يسع غيره، وكذلك قلب المحب ليس فيه سعةٌ لغير محبوبه، وقيل من الخشبات الأربع التي يستقر عليها ما يوضع عليها من جرةٍ أو غيرها، فسمي الحب بذلك، لأن المحب يتحمل لأجل محبوبه الأثقال، كما تتحمل الخشبات ثِقلَ ما يوضع عليها، وقيل: بل مأخوذة من حبّة القلب، وهي سويداؤه، ويقال: ثمرته، فسميت المحبة بذلك لوصولها إلى حبّة القلب (ابن القيم الجوزية، 2016).

وأما الحِبُّ_ بكسر الحاء_ فلغة في الحُبّ، وغالب استعماله بمعنى المحبوب، جاء في الصحاح: الحُبّ: المحبة، وكذلك الحِبُّ بالكسر، والحِب أيضاً الحبيب، مثل خِدنٍ وخَدين (الجوهري، 1987).

- أما حدُّ المحبة فذكر الناس كلاماً كثيراً من ذلك قالوا:
- هو الميل الدائم بالقلب الهائم.
- هي إيثار المحبوب على جميع المصحوب.
- هي موافقة الحبيب في المشهد والمغيب.
- هي إيثار مُراد المحبوب على مُراد المحب.
- هي ذكر المحبوب على عدد الأنفاس.
- هي عَمَى القلب عن رؤية غير المحبوب، وصممُهُ عن سماع العذل فيه.
- هي استقلال الكثير منك لمحبوبك، واستكثار القليل منه إليك.
- هي الغَيرة للمحبوب أن تنتقص حُرمتهُ، والغَيرة على القلب أن يكون فيه سواه.
- هي سكون بلا اضطراب، واضطراب بلا سكون، فيضطرب القلب فلا يسكن إلا إلى محبوبه، ويضطرب شوقاً إليه ويسكن عنده.
- هي مصاحبة المحبوب على الدوام، ومنه قول الشاعر*:

ومن عجبٍ أني أحن إليهمُ وأسأل عنهم من لقيتُ وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

- وقيل: هي أن يكون المحبوب أقرب إلى المحب من روحه، وكما قيل*:

يا مقيماً في خاطري وجـناني وبعيداً عن ناظري وعِياني
أنت روحي إن كُنتُ لستُ أراها فهي أدنى إليَّ من كل دانِ

فمن خلال تلك الأبيات وهذا النسج الرائع، والخيال المطلق في رسم الصورة الخيالية القادرة على حمل الحبيبة من فراشها، ثم ذلك القسم بعمرها لو أن حبي لها يماشيها ويلازمها لأظلها من فوقها لشدة الحر ووهج الشمس، فحبي لها يقيها من تلك

* الأبيات للقاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي بن محمد بن الحسن اللخمي(ت596هـ) وقد عزاها خطأ محقق كتاب روضة المحبين ونزهة المشتاقين، فواز أحمد زمرلي إلى خيار الديلمي، أو مهيار الديلمي، ص 91.

* الأبيات لأبي الحكم الإشبيلي، (الأنطاكي، 1993، صفحة 12).

Volume: 4 Issue: 4

السَموم، ثم يؤكد أن هذا الحب في نفسه والوساوس التي تأتي لمعظم الناس، لا تجد طريقاً إليه، لأن القلب موكل بها، فيأتي القلب شفيعاً لتلك الوساوس فيسلها، ويخرجها فلا تقرب منه أبداً.

ثم ينتقل لوصف الحبيبة فلا يطيل، ولا يغوص كعادة شعراء الغزل بذكر أوصاف الحبيبة، وكأن الغيرة عليها قد أحاطت قلبه بعدم ذكر محاسنها، ولأن الورع والتقوى الملازمان له، يحيطان الحبيبة من الاسترسال بذكر مفاتنها وجمالها، ولعل عبارة (بيضاء) تعطي إيحاء جمالياً لتلك المحبوبة، ومقدار البهاء الذي أتى على بياضها وجمالها، ثم عبارة(صاغها) وهي لا تكون إلا لصناع الذهب في صياغته، وجمال سبكه وروعة تداخله ونظارة بريقه، فالصوغ يأخذك للبهاء والجمال، وكأن كل شيء فيه من طول ورشاقة واعتدال ولباقة ونضارة وجه، وعدد ما شئت من الصفات تتوإلى وتتعدد بعبارة الصوغ، خاصة وأنه أتى بعبارة (فأدقّها وأجلّها).

فقالوا: دقّ منها حاجباها وأنفها وخصرها، وجلّ منها: عضداها وساقاها وبوصها، والبوص بفتح الباء اللون، وبالضم عجيزة المرأة (بدوي، 1987).

ولذلك إحساس الإنسان إذا أحبَّ وتعلق قلبه بمن يريد أكثر من ذكره، ولهج بصفاته التي يراها مختلفة عن الجميع، خاصة وأن العفة والتّصون كانت من شيم العرب حتى في الجاهلية، فنمت هذه الفكرة وأخذت أسلوباً وظاهرة عند من صدق من الشعراء، وسلك طريق العفة والإخلاص فيمن أحبها وتعلق قلبه بها، فَعُرِف عنهم بصدق إحساسهم ورقة مشاعرهم، فجاء اختيارهم للجمل معبراً عن أدق المعاني.

ولأنّ ولادة قصيدة الحب تكون من تجربة الشاعر الحقيقة العاطفية التي يحياها ببواطن الأشياء، فيضفي عليها من روحه، فتأتي قصيدته صورة حية لمعاناته النفسية وانفعالاته وأحاسيسه، والإنفعال كما قال هنري برجسون:(فالإنفعال الحقيقي هزة عاطفية في النفس) (برجسون، 1970، صفحة 50).

وليس أعمق من تجربة الحب إذا كان دافعاً أساسياً حمل الشعراء على تأليف أجمل القصائد المعبرة عن كوامن النفس، إن إحساس الشاعر الذي يعاني من طول الأيام والليالي بعد فراق الأحبة، فهو يعد ساعات يومه ومضيها تمر في الزمن، وكيف لا يحس بتلك المعاناة الزمنية وقد لامهُ في حبه اللائمون والمقربون، وكانت النتيجة هي ثبات الحب في قلب الشاعر، وسعيه لتحقيق الوصال.

ولهذا فالشاعر العذري أخذ طابعاً مميزاً، وطريقاً لا يتماثل مع الغزل الماجن أو الغزل السياسي، فمن باب التمني وخيال الشاعر لا يحدّه شيئ، وإن أطلق لعواطفه وشعوره ما تصبو إليه نفسه مع الحبيبة، وتكاد تكون الميزة التي تجمع رواد هذا الفن لا تختلف في كل العصور، فالعاشق الصب دائم الحزن، كثير السهر، لا تفارق الدمعة عينه، ولا يتلذّ بأطيب الحياة ومغرياتها، مستوحش مع الناس، فَرِحٌ بعزلته عن الجميع، يرى ما حوله فيذكر أحبابه، فكل شيء يثيرهُ، إن رأى محبيَن إثنين، أو سمع سجع حمامة، أو أبصر القمر في سهره، أو وجه له سؤال عن نفسه أو حاله، فتراه يجول بفكره وقلبه مع تلك الحبيبة النائية التي لا تفارق مهجته وأنس عيشه، وأيُّ أنسٍ يأتيه وهو البعيد والمبعد، والعاشق المتيم، الذي أضناه الفراق، وأتعب حاله وأحواله، وهي صفات مشتركة بين الشعراء العفيفين الذين رسموا لأنفسهم منهجاً ميزهم عن الكل حتى التصقت بهم صفة العفة والعفاف، وكرائم الأخلاق، ومشت مع كل شاعر يصطفُّ في طريقهم، وهذا ما نراه في عروة بن أذينة واضحاً جلياً، ليس في قصيدته هذه، بل في كل شعره الذي وصل إلينا، عاشق خجل، يطلق السلام على محبوبه فلا يأتيه الرد، وتأتي عبارة (وأخشى ذلّها)، هل قصد به التذلل للحبيب وهو في طريقه ؟.

أم قصد أنّها إنْ ردت عليه يعدُّ ذلة أمام الناس، فهو لا يرضى أن يتكلم أحد بريبة عليها، ولذلك قال: (حجبت تحيتها) وعبارة الحجاب تعطيك دلالة أن الحجاب غير معتم، فهناك حجب لا يّرى ما خلفها، وهناك حجب لها ستر خفيف شفاف يظهر لك ملامح الشخص وتفاصيله، فهي ظاهرة أمامه وشاخصة، غير أنها لم ترد السلام عليه، وبهذه القناعة الرائعة، والقلب

الكبير لهذا العاشق، بدأ يعطي المعاذير والتبرير لهذا الفعل، إلا أنّ النتيجة أنها مراقبة من عيون الناس عليها، فتخشى أن تلفت الإنتباه إليها، وتكون حديث الناس، وهذا ما لا يرضاه كل محبٍّ صادقٍ عفيفٍ في حبه، يؤثر من نفسه على محبوبه.

فالثنائية التي قامت عليها القصيدة، حققت سياقاً جميلاً من الغزل العفيف العذري النابض بالشكوى والآهات والوجد، وهذا ينسجم مع القافية بحرف الروي(الهاء)، مع تكرار الهاء النابض بالحسرة والتأوه حتى تتجسد الحالة الوجدانية الواحدة بين الحبيب والحبيبة، فكلاهما خلق من أجل الآخر ليعانيان الصبابة والشوق والحب وتباريحه بين الجوانح، وحتى تتجسد الصورة الإستعارية النابضة بالدفء والوجدان ويغدو حبه ظلاً ظليلاً لها يقيها الحر والشمس، فهي المصاغة والمفعمة بلباقة النعيم والجمال، وهذه الالفاظ التصويرية واللفظية التي اضفاها الشاعر على قصيدته مما زادها نبضاً وصدقاً وتدفقاً في العاطفة.

ولعل التجربة الشعرية التي عاشها عروة بن أذينة التي هي إفضاء بما يكنه الشاعر في ذاته من خواطر وأفكار عاشها وتعايش معها، فهي معايشة حقيقية لإحساس معين يتملك الشاعر فيدفع به إلى الخلق الفني، ولذلك فهي صياغة فنية لتجربة إنسانية ناتجة عن معاناة حقيقية، والمقصود بصدق التجربة (هو أن يكون الأديب قد مر فعلاً ولو في عالم الخيال بموقف أثار نفسه وحرك وجدانه وألهب عاطفته مما يجعل نتاجه الفني صدىً لنفسه وصورةً لفكره) (شعيب، د. ت، صفحة 47).

ولهذا نجد أن شعراء الغزل العذري يهذبون ألفاظهم، ويختارون التراكيب التي تعبر عن عمق معاناتهم النفسية، فلا تجد إلا الألفاظ الحسنة والسهلة والفصيحة والسلسة، التي لا نحتاج معجم أو قاموس لمعرفة المعنى، بل هي واضحة مفهمومة للقارئ، فالشاعر حقق عمق تجربته باختياره الألفاظ المفردة، التي عبّرت بعمق عن معاناته وما كان يقاسيه من الألم والحزن والخيال واليأس، التي لها خصائص فنية وجمالية، كان لها الأثر الفعال في جودة النص وإعطائه أبعاد نفسية تجر القارئ إلى الشعور والإحساس بما كان يجول في نفس الشاعر وكوامن قلبه وروحه.

الخاتمة

لاحظنا من خلال هذا البحث وجود الحب الصادق في سطور هذه القصيدة؛ ولأنّ شاعرنا عروة بن أذينة مرَّ بتجربة جعلته يطلق هذه الزفرات الصادقة، وهذا النظم المسبوك، وسأذكر أهم النتائج التي وصل إليها بحثي هذا.

1. إنّ الشاعر قد تعذّب بهذا الحب وهذا التعلّق؛ ولأنّه لا يملك من أمرِ قلبه شيئاً بالنسبة إلى ورعه وتقواه.
2. إنّ الشاعر كان عفيفاً طاهراً لم يدنّس حبّه بعمل الفاحشة أو التقرّب من ذلك، فـ علا بمرتبة هذا الحب على المحبّين، إذ لم يُشهّر بنفسه وبمن يحب.
3. إنّه قد تحمّل هذا الابتلاء وهذه المحنة التي ابتلاه الله عز وجل بها، فكان صبوراً متحمّلاً لهذا العبء الكبير.
4. رسم من خلال الأبيات الشعرية صورة خيالية رائعة عبّرتْ عمّا هو مكنون في قلبه وروحه لمن يحب.
5. ليس هناك أعمق من تجربة الحب والتعلّق ولكن بشرط المصداقية في المشاعر، وضابط ذلك كله هو الالتزام بالأوامر والنواهي، وهو ما اتصف به شاعرنا الفذ في كل ديوانه.

Volume: 4 Issue: 4

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أحمد زكريا ابن فارس. (1979). *معجم مقاييس اللغة*. (محمد عبد السلام هارون، المحرر) دار الفكر.

أحمد سعيد ابن حزم. (2008). *طوق الحمامة في الألفة والآلاف* (المجلد الطبعة الخامسة). (أحمد شمس الدين، المحرر) بيروت: دار الكتب العلميّة.

أحمد محمد الحوفي. (1961). *الغزل في العصر الجاهلي*. بيروت: دار القلم.

إسماعيل حمّاد الجوهري. (1987). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية* (المجلد الطبعة الرابعة). (أحمد عبد الغفور عطا، المحرر) بيروت: دار العلم الملايين.

حسين نصار. (د. ت). *قيس ولبنى، شعر ودراسة*. مصر: دار مصر .

حسين يوسف بكّار. (1981). *إتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري* (المجلد الطبعة الثانية). بيروت: دار الأندلس.

داوود الأنطاكي. (1993). *تزيين الأسواق بأخبار العشاق* (المجلد الطبعة الأولى). (محمد التونجري، المحرر) بيروت: عالم الكتب.

شوقي ضيف. (د. ت). *الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية* (المجلد الطبعة الخامسة). القاهرة: دار المعارف.

عبد الله مسلم ابن قتيبة. (1966). *الشعر والشعراء* (المجلد الطبعة الثانية). (أحمد محمد شاكر، المحرر) مصر: دار المعارف.

عبد الله مسلم ابن قتيبة. (1966). *الشعر والشعراء* (المجلد الطبعة الثانية). (أحمد محمد شاكر، المحرر) مصر: دار المعارف.

عبدة بدوي. (1987). *دراسات في النص الشعري* (المجلد الطبعة الأولى). الكويت: منشورات ذات السلاسل.

عروة بن أُذينة. (1996). *ديوان عروة بن أذينة* (المجلد الطبعة الاولى). بيروت: دار صادر.

محمد أبو عبد الله ابن القيم الجوزية. (2016). *روضة المحبين ونزهة المشتاقين* (المجلد الطبعة الأولى). (فواز أحمد زمرلي، المحرر) بيروت: دار ابن حزم.

محمد شعيب. (د. ت). *في النقد الأدبي الحديث*. القاهرة.

محمد يعقوب الفيروز آبادي. (د. ت). *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*. (محمد علي النجّار، المحرر) بيروت: المكتبة العلميّة.

محمود عمرو الزمخشري. (1988). *أساس البلاغة*. (محمد باسل عيون السود، المحرر) بيروت: دار الكتب العلميّة.

هنري برجسون. (1970). *منبعا الأخلاق والدين*. (سامي الدروبي، و عبد الله عبد الدايم، المحررون) القاهرة: الهيئة المصرية العامة.